

تخريج الحديث عن طريق التّقنيّة الإلكترونيّة الحديثة؛ تأسيس ونقد

دعوة إلى اعتبار التطبيقات الإلكترونيّة في التوثيق والتّخريج

*Hadīth authentication by electronic technology modern, Criticism and establishment
A call to consider electronic applications in registration and authentication.*

د. ربيع شملال¹

جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان

مخبر الدّراسات الشرعيّة

rabie.chemlal@univ-tlemcen.dz

chemlalrabie@gmail.com

تاريخ الوصول 2023/04/18 القبول 2023/12/27 النشر على الخط 2024/01/15
Received 18/04/2023 Accepted 27/12/2023 Published online 15/01/2024

ملخص:

تُرَكِّزُ معالم هذه الورقة البحثيّة على أهمية - أو قُلْ: ضرورة - الاعتماد على البرامج والتّطبيقات الإلكترونيّة وكلّ ما اخترعته أو سوف تخترعه الحضارة البشريّة من وسائل تساهم في تسهيل عمليّة التّعلّم الشرعيّ، والمبادرة إلى المشاركة الفعّالة والإيجابيّة في هذا النّشاط العلميّ المدهش، والتّوقّف عن تغليب جانب الحذر والشكّ والخوف.

وتركّز بالخصوص على الحضور المشرف للبرامج والتّطبيقات المتعلقة بالحديث النبوي التي تُخدم السنّة النبويّة خدمة لائقة، وتعتمد منهج التّحليل عندما تجيب عن الإشكالات والانتقادات الموجهة لها، ومن خلال عرض بعض التّماذج من التّطبيقات الجيّدة التي صنعت حديثاً؛ تقترح أن يبدأ الباحثون في الاعتماد على بعض تلك التّطبيقات المعتمدة عند عمليّة تخريج الحديث والتّوثيق ما دامت تحت إشراف متخصصّين، دون الحاجة إلى عرض أو مراجعة أو مقابلة بالطّبعات الورقيّة.

الكلمات المفتاحية: تخريج الحديث، التّقنيّة الحديثة، الحاسوب الآلي، الهاتف، اللّوح الإلكترونيّ، المواقع والبرامج والتّطبيقات.

Abstract:

The features of this research paper focus on the importance [or say: the necessity of relying on electronic programs and applications and everything that human civilization has invented or will invent in terms of means that contribute to facilitating the legal learning process and the initiative to actively and positively participate in this amazing scientific activity, and stop giving priority to one side Caution, doubt and fear.

It focuses in particular on the honorable presence of programs and applications related to the Prophet's hadith that serve the Prophet's Sunnah with a decent service. It adopts the analysis approach when it answers the problems and criticisms directed at it, and by presenting some examples of good applications that have been made recently. It suggests that researchers start relying on some of these applications that are considered in the process of Hadīth authentication and documentation as long as they are under the supervision of specialists, without the need for presentation, review or interview with paper editions.

Keywords: Hadith authentication / modern technology / computer / telephone / electronic tablet / websites, programs and applications.

1. مقدمة:

إنّ استعمال الوسائل التكنولوجية الحديثة بات ضرورياً يقتضيها أسلوب الحياة المعاصر، وواقعاً لا يمكن لأيّ أحد تجاوزه، وقد تنبّه خادمو العلم الشرعيّ إلى أهمية الإسراع إلى استغلال تلك الوسائل في خدمة الآخرة كما استغلّت في خدمة الدنيا، فكان من نتاج ذلك أن أنشأوا المواقع الافتراضية، وأبدعوا في صناعة البرامج والتطبيقات المكتبية التي حوت آلاف الكتب الشرعية. وكانت السنّة النبوية على الطليعة إذ خُدمت حتّى الآن بعشرات المواقع والتطبيقات، وكان من ثمرة ذلك رقيّ البحوث والدراسات المتعلقة بالسنّة، ولا أظنُّ أنّ ذلك حصل إلّا بفضل ما توفّره التّقنية الحديثة من كتب ووقت، وتتيحه من طرق للبحث عن المعلومة ونسخها وإعادة تدويرها.

وكأنيّ عمليّ بشريّ فإنّ البداية كان فيها إخلال، وكان كلّ عمل علميّ إلكترونيّ يحمل نقائص مؤثّرة في المصادقية، كنقص بعض الكتب الإلكترونية من صفحات كاملة، وبعضها من فقرات، وحصل في بعضها تغيير وتبديل وتحريف، فكان أن حكم الذين كتبوا في التعريف بهذه الوسائل الحديثة - بعد أن بيّنوا فضله - بعدم إتقانها، ومن ثمّ بضرورة مقارنة نتائجها بالكتب الورقية. وكان هذا الحكم صحيحاً باعتبار المرحلة وخصائصها، لكنّه صار غير صحيح ولا منطقيّ لما صار كلّ من كتب بعدهم يحكم بحكمهم، حتّى بدأ أنّ هذا الحكم سيُستصحب إلى آخر الزمان، وأنّه سيصبح قاعدة كليّة لا يمكن إلغاؤها. إنّ التطوّر الهائل المستمرّ الذي يسهّل يومياً فهم التّقنية الحديثة والتحكّم فيها، والوقوف على حلول لمشكل الصيانة والحماية وما إليه، ثمّ إدراك صنّاع المواقع والتطبيقات أنّهم لا يستطيعون الاستقلال بصياغتها شكلاً ومضموناً، ولا بدّ من الاستعانة بأهل الاختصاص الشرعيّ..

كلُّ ذلك ممكّن من إصدار نماذج طيبة استفادت من النّقد وتجاوزه، وصارت أخطاؤها اليوم لا تعدو الجهد البشريّ - أخطاء نادرة ومغتفرة -، ولم تُعدّ كما كانت من النّوع الذي لا يمكن السكوت عنه. ولأجل هذا رأيت أنّهُ حان الوقتُ للدعوة إلى ضرورة اعتبارها في التوثيق والتّخريج مثل الطّبعت الورقية تماماً، فكانت هذه الورقة البحثية الموسومة ب: التّخريج عن طريق التّقنية؛ تأسيس ونقد [دعوة إلى اعتبار التطبيقات في التوثيق والتّخريج]

الإشكالية:

قيل: إنّهُ لم يسلم أيّ من تلك المواقع والبرامج والتطبيقات الخادمة للسنّة الشريفة من خللٍ ظاهرٍ سواء في جانب الإخراج أو في جانب تحقيق النّص، إذ حوت كلّها نقصاً وتحريفاً، فما كان من العلماء إلّا أن حكموا أنّها بمثابة: المصادر الفرعية أو الفهارس، يُستعان بها ولا يُكتفى بها.

إنّ هذا الحكم كان مبرراً إلى وقت ما، ولكن بعد ظهور بعض التطبيقات التي يُشرف عليها علماء حديثٍ وطلبة علم متخصصّون، لم يعد من الواقعيّ أن يُبقي الحكم السابق، وكان لزاماً علينا أن نتساءل:

- عن واقع الرقمنة من حيث خدمتها للبحث الحديثي، عن الموجود والمأمول، وعن أهميتها وإيجابياتها وسلبياتها.
- عن إمكانية الإصلاح والتطوير؛ بحيث تنصّب دراساتنا وبحوثنا حول محاولة تحسينها والرقيّ بها.

■ وما دام الواقع يتطور بسرعة، والحياة تتجدد؛ أليس من الضروري التركيز على إبراز الجوانب التي جعلت هذا التطبيق أفضل من ذلك؟ حتى يتسنى للأحق استدراك ما فات السابق؟.

الدراسات السابقة:

دخلت أهمية الاستنجد بالإعلام الآلي والآلات الإلكترونية تخصص التخريج باكراً، فقد تزامنت تقريباً مع صدور أول تطبيق¹ يخدم السنة الشريفة، ولكنها جاءت عامة ومقتضبة ضمن كتب التخريج، أما الدراسات التي استقلت بنفسها، وتخصصت في دراسة الجزئية التي سأتناولها وتقاطعت مع مداخلي كثيراً فأجد ثلاثاً²:

الأولى: ضوابط استخدام التقنيات الحديثة في تخريج الأحاديث النبوية للدكتور سعد فحجان الدوسري أستاذ في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت.

الثانية: دور البرامج الإلكترونية والتقنيات الحاسوبية في خدمة علم الحديث النبوي الشريف للدكتورة حكيمة حفيظي أستاذة بجامعة الملك خالد بأبها-السعودية.

الثالثة: تطوير تدريس علم التخريج الحديث الشريف في جامعات العلوم الإسلامية [الواقع والمأمول] للدكتور أكرم بلعمري جامعة الوادي-الجزائر.

وهناك دراسات أخرى مقارنة في العنوان والمضمون، ولكني اكتفيت بهذه اعتباراً للجهود المبذول من أصحابها. وقد اشتركت الدراسات الثلاث مع ورقتي في التعريف بأهمية التخريج عن طريق التقنية الحديثة، وافتقرت في كونها لم تزد الانتقادات القديمة، ولم تؤسس لمرحلة اعتماد التخريج والتوثيق من التطبيقات المعتمدة.

أهمية الموضوع وهدفه:

للموضوع أهمية قصوى، تكمن في ضرورة مواكبة العصر والاستفادة من مبتكراته بتوظيفها في خدمة الوحي وعلومه، أما أهدافه فنلخصها في:

¹ . في عام 1982م تأسست شركة (صخر لبرامج الحاسب) إحدى فروع شركة (العالمية للإلكترونيات)، ثم إنَّ شركة (صخر) أنشأت سنة 1985م إدارة باسم (مركز التراث الإسلامي) معنية بإنتاج البرامج الإسلامية، ثم استقرت تسميتها بعد ذلك ب: (شركة حرف لتقنية المعلومات)، وهي من أول الشركات عملاً في هذا المجال إن لم تكن أولها، إذ قامت بوضع المصادر الإسلامية الكبرى على وسائل إلكترونية، وتعدُّ برامجها من أدق البرامج الحاسوبية في خدمة السنة والسيره النبوية، حيث عيّنت في جلِّ برامجها، ب: 1/ الدقة 2/ والمراجعة 3/ والضبط بالشكل للنصوص، ومن أهم البرامج المتعلقة بالسنة مما أنتجته هذه الشركة: 'موسوعة الحديث الشريف'.

يُنظر: الدكتور إبراهيم بن حماد الرّيس 'التقنية الحديثة في خدمة السنة والسيره النبوية'. موقع الألوكة.

والتقنية الحديثة ودورها في خدمة السنة النبوية' مدحت عبد البارى محمد وهشام البطايجي السبع. مقال محكم.

² . لأهمية الموضوع ولجده فإنَّ أفلام الباحثين جادت بمقالات متميزة ومتنوعة، ولكني اخترت مار أيت فيه جوانب تقاطع مع ما تحدف إليه أفكار هذا المقال.

- تحديد المزايا التي جعلت من التقنية وسيلة بديلة لطرق التخريج التقليدية.
- تحديد العيوب التي جعلت التطبيقات تنزل عند بعض المتخصصين من منزلة [المصادر الأصلية] إلى منزلة [الفهارس والكتب الفرعية]، ومناقشة تلك العيوب ومساءلة من طرحوها أو اعتقدوها.
- فيه دعوة صريحة إلى الاعتماد على التطبيقات المعتمدة في التحقيق وتخريج النصوص، والتوقف عن تقليد الحكم القائل بأنها مصادر غير أصلية.
- اقتراح شروط الاعتماد على التقنية في التخريج والتوثيق وطرحها للدراسة والمناقشة.

هيكل الدراسة:

أردتُ التركيز في هذه الدراسة على بعض التعريفات والمقدمات المهمة التي تكوّن التصور اللازم لدى القارئ، ثمّ أُلج إلى الموضوع من خلال عرض جملة من المزايا والعيوب التي وقفتُ عليها ثمّ دراستها وصفاً ونقداً وتحليلاً، ممّا قد يساعد على تبني فكرة ضرورة الاعتماد على التطبيقات المحكمة الصّنع كمصادر كما تبني المختصّون قبل ضرورة الاستفادة منها كفهارس. واستلزم الموضوع أن نختار تطبيقاً محترفاً لنجعله نموذجاً للدراسة، فكان الهيكل النهائي على الوجه التالي:

مقدمة: اشتملت على عناصرها المعروفة.

المطلب الأول: مقدمات عامة.

المطلب الثاني: التخريج عن طريق التقنية، دراسة في المزايا والعيوب.

المطلب الثالث: (تطبيق جامع الكتب التسعة) خصائص واستدراكات.

خاتمة: وضمت النتائج واقتراحاً حول آفاق البحث.

واخترتُ له المنهج التحليلي الذي يتناسب مع جمع المادة وتحديد جوانب الجودة والنقص فيها.

2. المطلب الأول: مقدمات عامة

2-1 تعريف التخريج:

لغة: خرّج: ظهرَ وبرزَ، وهو نقيض: الدّخول، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ (٤٢) ﴿ق: 42﴾ أي: يوم يخرج الناس من الأجدات، والأجدات: القبور.

ويقال: خرجتُ خوارجُ فلانٍ إذا ظهرت نجابته وتوجّه لإبرام الأمور وإحكامها¹.

ومن استعمالات مصطلح التخريج:

"الاستنباط: فيقال مثلاً: استخراج المسألة الفلانية، أي: استنبطها.

ويطلق أيضاً على التوجيه: خرّج المسألة الفلانية، أي بين لها وجهها صحيحاً.

ويطلق أيضاً على التدريب: فيقال مثلاً: خرّجه في الحديث فهو خرّيج، أي: درّبه وعلمه"¹

¹. يُنظر: 'لسان العرب' لابن منظور الإفريقي (711هـ) مادة: خرّج (2/249 فما بعدها).

اصطلاحاً: "هو الدلالة على مواضع الحديث في مصادره الأصلية التي أخرجته بسنده ثم بيان مرتبته عند الحاجة"². سواء اجتهدا أو تقليداً.

وعرّفه المناويّ بأنّه: "عزوّ الأحاديث إلى محرّجها من أئمة الحديث من الجوامع والسّنن والمسانيد"³. وقيل هو: "عزو الحديث إلى مصادره الأصلية المسندة، فإن تعدّرت فيإلى الفرعية المسندة، فإن تعدّرت فيإلى الناقلين عنها بأسانيدها، مع بيان مرتبة الحديث غالباً"⁴.

ولكنّ الدكتورين حمزة المليباريّ وسلطان العكايلة استدركا على هذه التعريفات، واعتبرا أنّها اقتصرت على التّخريج الفئّي الذي يُمارس في العادة عند تحقيق الكتب العامة لا الحديثية.

واعتبرا التّخريج العلميّ أدقّ من ذلك، إذ لا يُحسّنه إلاّ أهل التّخصّص من العلماء والباحثين، وهو الذي يعالج طرق الحديث عرضاً ومقابلة، وإليك ما قاله⁵:

"إبرازاً لعملية التّخريج بأبعادها الحقيقية فإنّه يجب أن نفرّق بين التّخريج الفئّي والتّخريج العلميّ، وأن نُعدّ ما ذكره المعاصرون من التعاريف إنّما يخدم الجانب الفئّي فحسب، أمّا الجانب العلميّ فينبغي تعريفه بما يُبلور حقيقته، ويحدّد الهدف منه، ويُبيّن أهميته في دراسة الأسانيد وتصحيحها وتضعيفها"⁶.

وهما بهذا يقرّران أنّ دراسة الأسانيد من أساسيات التّخريج، وعلى هذا يعتبران أنّ من ضروريات علم التّخريج الحكم على الحديث اجتهداً، ولا يكفي تقليد أحد الجهات، وهذا أظنه شطط في الحكم، ومبالغة في القول.

وقد جاء هذا التّقرير بارزا في التّعريف الذي اختاره حيث قال:

"إنّ ما نراه مناسباً في تعريف التّخريج العلميّ هو: كشف مظانّ الحديث من المصادر الأصلية التي تعتمد في نقله على الرواية المباشرة، لمعرفة حالة روايته من حيث التّفرد أو الموافقة أو المخالفة"¹.

1. 'طرق تخريج الحديث' للدكتور سعد الحميد (ص: 05).

2. 'أصول تخريج الحديث ودراسة الأسانيد' للدكتور محمود الطّحّان (ص: 12).

وعرّفه السّخاويّ: "التّخريج: إخراج الحدّث الأحاديث من بطون الأجزاء والمشیخات والكتب ونحوها، وسياقها من مرويات نفسه أو بعض شيوخه أو أقرانه أو نحو ذلك، والكلام عليها وعزوها لمن رواها من أصحاب الكتب والدّواوين.. وهذا التّخريج الذي يأتي بمعنى صناعة 'المستخرجات' وهي كتب حديثية أصلية، ثم قال: "وقد يُتوسّع في إطلاقه على مجرد الإخراج والعزو".

يُنظر: فتح المغیث بشرح ألفية الحديث لشمس الدّین السّخاويّ (ت: 902هـ) (3/317).

3. 'فيض القدير بشرح الجامع الصّغير' لعبد الرّؤوف المناويّ (1031هـ) (1/17).

فائدة: وقال بعد جملة التّعريف مباشرة: "فلا أعزو إلى شيء منها إلاّ بعد التّفتيش عن حاله وحال محرّجه، ولا أكتفي بعزوه إلى من ليس من أهله وإن حلّ كعظماء المفسرين"، وهذا فيه إشارتان: الأولى: أن يضاف إلى العزو بيان الدّرجة، والثانية: أن لا يعزو إلاّ إلى الكتب الأصلية، ولا يعزو للكتب الفرعية وإن اشتهر أصحابها بالعلم أو الورع ورووها بأسانيد لأنفسهم..

4. 'التّخريج ودراسة الأسانيد' للدكتور حاتم بن عارف الشّريف العوني (ص: 12).

5. وقد بالغاً جدّاً حين ادّعى أنّ هذه التّعريفات السّطحية قد أدت إلى فوضى!

6. 'كيف ندرس علم تخريج الحديث' للدكتور حمزة المليباريّ وسلطان العكايلة (ص: 27).

والذي يهّمنا جدًّا، أنّ التّخريج الفئّي والعلميّ كليهما يحتاجان في عصرنا هذا حاجةً ضروريّةً إلى التّقنيّة الحديثة من حاسوب أو هاتف أو لوح إلكترونيّ أو أيّ اختراع مهما كان نوعه يمكن استعماله في الوصول إلى مظانّ الحديث أو إلى طرقه التي يمكن بها معرفة التّفرد أو الموافقة أو المخالفة.

ذلك أنّ هذه التّقنيّة توقّر الوقت والجهد والمال، وتوصل المحسن لاستعمالها إلى نتائج أقرب إلى الصّواب من غيره، وهذا ما يمكن البرهنة عليه في ثنايا هذه الورقة البحثيّة.

2.2 تعريف التّقنيّة:

لغة: كلمة معرّبة من الكلمة اللاتينيّة (Technology) وتعني: جملة الوسائل والأساليب والطرائق التي تختص بمهنة أو فنّ، وعلم التّقنيّة: التّكنولوجيا/علم الصّناعة².

وقيل هي عربيّة خالصة، مشتقّة من فعل أُنْفَع³.

ونقصد بالتّقنيّة الحديثة في بحثنا هذا: كلّ وسيلة تُخترع في هذا العصر أو بعده، لها خاصيّة تخزين ومعالجة المعلومات، كالحاسوب الآليّ أو الهاتف الذكيّ أو اللّوح الإلكترونيّ، وتمتاز ب: (أ) كثافة المادّة (ب) وسرعة الأداء (ج) وتنوّع أدوات البحث (د) وإمكانيّة الحفظ والنّسخ (هـ) وخاصيّة الرّبط بين الكتب.

أو أيّ شيءٍ مستقبليّ يفوق الحاسوب وبرامجه حقّة أو سرعة أو قدرة.. فالحيّة مبنية على التّطور، ولكلّ زمانٍ عباقرته كما تقول الحكمة، ونحن في هذا العصر المدهش نسمع عن الكومبيوتر الكميّ (Quantum Computer) وتقنيّة الميتا فيروس (Metavirus) والذكاء الاصطناعيّ، ولا ندري ماذا ستفتح على مخيّلته أهل الاختصاص من مشاريع وأفكار.

3.3 تعريف المصادر الأصليّة:

هي الكتب الحديثيّة التي جمعها مؤلّفوها عن طريق تلقّيها عن شيوخهم بأسانيد إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم⁴. فهنا شرطان: الأوّل: أن تكون الكتب حديثيّة، أيّ مختصّة بجمع الأحاديث والآثار.

والثاني: أن تكون موصولةً بأسانيد من المؤلّف إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

وقدّمثُ التعريف بالمصادر الأصليّة حتّى لا تختلط مع تنوّع الطّبعات، لأنّ هناك من حكم بأنّ التّطبيقات ليست مصادر أصليّة رغم أنّ الشّروطين يتحقّقان فيها كما سنحقّقه لاحقًا بإذن الله، وما أظنّه إلّا غفل عن الفرق بين المراجع الأصليّة والطّبعات، وأنّ الكتاب الإلكترونيّ المدمج في التّطبيقات ما هو إلّا طبعة من الطّبعات بغضّ النّظر عن كونه أصليًّا أو فرعياً.

¹ . المصدر نفسه (ص:28).

² . يُنظر: 'معجم اللّغة العربيّة المعاصرة' للدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر (1/296).

³ . يُنظر: 'المواضع في الاصطلاح' للدكتور بكر أبو زيد (ص:118).

⁴ . 'أصول التّخريج ودراسة الأسانيد' للدكتور محمود الطّحّان (ص:16).

3.المطلب الثاني: التّخريج عن طريق التّقنية دراسة في المزايا والعيوب.

3.1 المقصود بالتّخريج عن طريق التّقنية:

يُطلقُ المؤلّفون في علم التّخريج هذا الاصطلاح ويقصدون به: استعمال أحد البرامج أو التّطبيقات التي توفرها التّقنية العصرية للدّلالة على الحديث في كتبه الأصليّة وتحديد طرقه وبيان درجته.

هذا التعريف كاف، ويمكن أن يضاف له هذه الجملة المهمّة: مع ضرورة توقّر التّطبيق أو البرنامج المستعمل على خاصّيتين، الأولى: البحث بأنواعه، والثّانية: الرّبط المباشر بالمراجع المهمّة. إذ يكتسي التّطبيق جودته من جودة تلك الخاصّيتين.

وهذا التعريف كما هو ملاحظ مستفاد من التعريف العامّ لعلم التّخريج الذي تقدّم، مع تقييده بالتّقنية المعاصرة.

■ لماذا قلنا التّقنية ولم نقل الحاسوب أو الهاتف؟:

اخترنا هذا المصطلح من بين المصطلحات المتوقّرة مراعاة لسرعة التّطور والتّغيير الذي نعيشه، فالتّقنية تشمل الحاسوب والهاتف واللّوحات الإلكترونيّة، وتشمل ما قد يوجد به المستقبل ممّا لا يعلمه إلاّ الله من اختراعات، قال تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨) [التّحل:08].

لذا وجب التّسبيه إلى أنّ أيّ تقنية تُخترع، ويكون من قدراتها: تسهيل الدّلالة على مكان الحديث في مظانه والوصول إلى أحكام العلماء وشروحهم له، فإنّها داخلة فيما نحن بصددده.

3.2 ما يمكن أن تعوّضه التّطبيقات الإلكترونيّة:

أ/ الفرق بين الكتب الورقيّة والتّطبيقات الإلكترونيّة: لا أظنّ أنّ هناك فرقا جوهريّا بين الكتاب الورقيّ والكتاب الإلكترونيّ الذي تُبنى عليه التّطبيقات، إذ يحويان المعلومات نفسها التي وضعها صاحب الكتاب دون تغيير أو تبديل¹.

أمّا الفروق فلا تعدو الهيئة والخصائص، ولا تمسّ المادة بأيّ حال من الأحوال.

وحثّى يتّضح الكلام يمكننا أن نبدأ ببيان طرق التّخريج من الكتب الورقيّة، وهي خمسة مشهورة:

(أ) التّخريج عن طريق معرفة راوي الحديث من الصّحابة.

(ب) التّخريج عن طريق معرفة أوّل لفظ من متن الحديث.

(ت) التّخريج عن طريق كلمة بارزة يقلّ دورانها في الأحاديث.

(ث) التّخريج عن طريق معرفة موضوع الحديث.

(ج) التّخريج عن طريق النّظر في حال الحديث سندا ومتنا.

¹ قال الأستاذ عبد السلام هارون في معنى تحقيق متن الكتاب: "ومعناه أن يُؤدّى الكتاب أداء صادقا كما وضعه مؤلّفه كَمَا وَكَيْفًا بقدر الإمكان،.. [إلى أن قال:].. ليس تحقيق المتن تصحيحا أو تحسينا، وإنما هو أمانته الأداء التي تقتضيها أمانة التّاريخ، فإنّ متن الكتاب حُكّم على المؤلّف وحكّم على عصره وبيئته، وهي اعتبارات تاريخيّة لها حرمتها". اهـ 'تحقيق النّصوص ونشرها' للأستاذ عبد السلام هارون (ص: 47-48).

عند سبر هذه الطرق عملياً أظنُّ أنه لا أحد يشكُّ في كون التَّخريج عن طريق (كلمة بارزة يقلِّ دوارتها في الحديث) هي أسهل طريقة من بين الطرق الخمسة، حتَّى إنَّ الدكتور محمود الطَّحان لَمَّا أراد أن يعدِّد مزايا 'المعجم المفهرس' الذي اعتمدها منها وصَفَهُ بما قد يُظنُّ أنه يقصد الحاسب الآلي، إذ قال: "الملاحظات التي يمكن ملاحظتها عليه تغتفر بجانب الفوائد الكبيرة التي يستفيدها المُراجع، وعلى رأسها التَّوفير الكثير في الوقت، والوقت ثمين جدًّا لا سيَّما على الباحث الذي عوزه معرفة كثير من الأحاديث دائماً"¹.

وذلك لأنَّ تَدكُّر أيِّ لفظٍ يُمكنُ الباحث من الوصول إلى مكان الحديث إذا كان من مرويات الكتب التسعة، فهو بذلك يربحنا الوقت والجهد.

والتَّخريج عن طريق التَّقنيَّة يوفِّرها بطريقة أسهل وأتقن، ويوفِّر كلَّ الطرق السالفة، ويزيد عليها خاصية البحث في السند كما المتزن. مع خفَّة وسرعة التقنيَّة، واحتوائها على موسوعة حديثة ضخمة، وإمكانية استصحابها. وربَّما ضمَّ التطبيق كتب الحديث الفرعيَّة كالعلل والمسلسلات وما شابه، فيتيح إمكانية البحث فيها. وربَّما ضمَّ أيضاً كتب التَّخريج العمليَّة وشروح الحديث، فيتيح إمكانية الوصول إلى الحكم على الحديث. وتتجاوز التقنيَّة خدمة التَّخريج إلى توفير السرعة المطلوبة للوصول إلى الطرق وتراجم الرواة، وأقوال علماء الجرح والتَّعديل، ورسم شجرة الإسناد بصيغ متنوِّعة.

قال إبراهيم اللّاحم: "يتساءل كثير من الباحثين عن الطَّريقة المثلى للوصول إلى طرق الأحاديث في مصادرها، والتَّأكد من أنَّ الباحث لم يفتته شيء منها.

والإجابة عن هذا التَّساؤل قد تبدو ظاهرة في الوقت الحاضر؛ فالحاسب الآلي قد تكفَّل بذلك كلِّه، خاصة بعد التَّوسع في إدراج المصادر المفهرسة، وشمولها للمخطوطات أيضاً، فقد قضى الحاسب الآلي ببرامجه المتنوِّعة على الطرق القديمة، مثل: 'المعجم المفهرس' لألفاظ الحديث النَّبويِّ، و'مفتاح كنوز السنَّة'، و'تحفة الأشراف'، وغيرها من كتب الفهرسة"².

ب/ ما يمكن للتَّقنيَّة أن تعوِّضه وما لا يمكن:

- يمكن للتَّقنيَّة أن تعوِّض الكتاب الورقيَّ قراءة ومطالعة وبحثاً.
- يمكنها أيضاً تعويض طرق البحث عن الحديث كلِّها، ف"الحاسب الآلي يُعتبر فهرساً يُنتفع به كما يُنتفع بالفهارس على جميع الوجوه السَّابقة، على: اسم الراوي، أو الصَّحابي، أو لفظة في الحديث، وغيرها"³.
- وتعوِّض طرق الوصول إلى أحكام العلماء في الحديث، وطرق الوصول إلى تراجم الرواة وما إليه، خاصَّة إذا كان الحديث موصولاً بروابط تمكِّن من الوصول إلى إحدى المعلومات السَّابقة بالضَّغط على كلمة في الحديث أو اسم الراوي أو زرَّ خاصّ موضوع في الجانب.

¹ . 'أصول التَّخريج ودراسة الأسانيد' للدكتور محمود الطَّحان (ص:101).

² . 'مقارنة المرويات' لإبراهيم بن عبد الله اللّاحم (25/1). ط: 1 دار الريان بيروت [1433هـ/2012م].

³ . 'التَّخريج ودراسة الأسانيد' للدكتور حاتم بن عارف الشَّريف العوني (ص:49).

■ معرفة ضوابط العزو إلى كتب السنّة، إذ يمكن لخوارزمياتها أن ترتّب المصادر حسب ما تُرمج عليه.

■ وتعوّض النّقل بخطّ اليد؛ لإمكانية الكتابة الآليّة والنّسخ واللّصق والطّبع.

ما لا يمكنها أن تعوّضه: ولا يمكنها أن تُعوّض ما يحتاج إلى الذّكاء والتّمييز البشريّ، ك:

أ/ القدرة على تمييز مصطلحات علم الحديث، إذ لا بدّ من تصوّر مفهوم المتن والسّند وأقسام الحديث من حيث الصّحّة والضعف، أو من حيث وصوله إلينا وما إليه.

ب/ كما لا يمكن أن تعوّض معرفة دلالات مصطلحات الجرح والتّعديل وقواعدها وما إليه.

ج/ والأصعب: برمجتها على إدراك الملاحظات الحاصلة بعد مقابلة الطّرق وضرب بعضها ببعض للكشف عن الشّدوذ والعلل

الخفيّة، قال السيّوطي في بيان صعوبة الكشف عن العلة: "وهذا التّوع - المعلّل - من أجلّها، أي أجلّ أنواع علوم الحديث، وأشرفها

وأدقّها، وإمّا يتمكّن منه أهل الحفظ والخبرة والفهم الثّاقب، ولهذا لم يتكلّم فيه إلاّ القليل، كابن المدينيّ، وأحمد، والبخاريّ، ويعقوب

بن شيبه، وأبي حاتم، وأبي زرعة، والدّارقطني.

قال الحاكم: وإمّا يعلّل الحديث من أوجهٍ ليس للجرح فيها مدخل"¹.

وفي صعوبة الشّاذّ قال: "ولصعوبته لم يُفردّه أحدٌ بالتّصنيف"².

لا نقول مستحيل كما قال بعض الباحثين، ونستبدلها بكلمة صعب، فنقول: من الصّعوبة بمكان صناعة تطبيق يمكنه دراسة

الحديث دراسة كاملة تمكّنه من الحكم على الحديث حكماً نهائياً، ومكّمن الصّعوبة في كون علم الحديث منهجاً يحتاج إلى ملكة،

لا تتأتّى إلاّ بالحوارة الطّويلة لكتب السنّة متونا وأسانيد، لذلك قال ابن رجب في شرحه على علل التّرمذيّ: "ولهم في كلّ حديث

نقدٌ خاصّ"³.

فإذا جاء زمنٌ أبانت فيه التّقنيّة عن ذكاء مقارب لذكاء الإنسان أو يفوقه، وتمكّن الصّانعون من برمجة تطبيق ذكيّ يمكنه الحكم على

الحديث، فيومها نقول: على الباحث ألاّ يسلم بالنتيجة حتّى يقرأ سير البحث، ويناقش خطواته، ليحكم بصحّة المنهج أو بطلانه،

وحينها يكون التطبيق بمثابة اجتهادٍ عالم يمكن تصويبه وتخطئه.

3.3 مزايا التّخريج عن طريق التّقنيّة وعيوبه:

اقتضى المنهج أن أعرض هنا ما جمعته من مادّة تصف مزايا التّخريج عن طريق التّقنيّة أو عيوبه، ثمّ أعلّق موافقاً أو مخالفًا بما يقتضيه

المقام.

¹ . 'تدريب الرّواي في شرح تقريب التّوي' لجلال الدّين السيّوطي (911هـ) (ص:216).

² . المصدر نفسه (ص:195).

³ . 'شرح علل التّرمذي' لابن رجب الحنبلي (ت:795) (582/2).

أولاً: مزاياها¹:

- نَبّه كلٌّ من أَلْفٍ في التَّخْرِيجِ من المعاصرين إلى أَهْمِيَّةِ التَّخْرِيجِ عن طريق التَّقْنِيَّةِ، وذلك لما لها من خصائص ومزايا فضلتها على كلِّ الطَّرُقِ التَّقْلِيدِيَّةِ، وهذا جملة من المزايا جمعتها من مراجع مختلفة:
- 1/ توفّر التَّقْنِيَّةِ خاصيَّةً: تعدّد أساليبِ البحثِ.
 - [وهذا مهمٌّ جدًّا، وربّما كان السَّببُ الأوَّلُ في تَفَوُّقِها على التَّخْرِيجِ عن طريق الكُتُبِ الورقيَّةِ].
 - 2/ إمكانيَّةُ استيعابها لكلِّ مصادرِ السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ الأَصْلِيَّةِ والفرعيَّةِ، والبحث فيها مفرقة ومجموعة.
 - 3/ سرعة استدعاء المعلومات واستخراج النتائج ومعالجتها ومقارنتها والتأكّد منها.
 - 4/ إمكانيَّةُ الحفظ والتَّخْزِينِ وإعادة التَّدْوِيرِ والاستعمال، مع سهولة طباعة المعلومات عند الحاجة.
 - 5/ إمكانيَّةُ وَصْلِ الباحثِ بمَوْضِعٍ آخر للحديث في الكتاب نفسه أو في كتاب آخر من ضغطة زرّ.
 - 6/ مع إمكانيَّةِ الحَمْلِ في الجيب دون أدنى مشقّة؛ حيث تُوفِّرُها تقنيَّةُ الهاتفِ واللُّوحِ الإلكترونيّ.
 - 7/ سهولة جمع طرق الحديث ومقارنتها.
 - 8/ تسهيل رسم شجرة الإسناد.
 - 9/ وكلّ ذلك سوف يفضي بلا شكّ إلى إصدار الحكم على الحديث بشكلٍ أقرب إلى الدقّة والصواب، سواء عند الاطلاع على أحكام العلماء ومقارنتها والتّرجيح بينها، أو عند دراسة الإسناد والحكم عليه.
 - 10/ التّحكّم في شكل وحجم الخطّ عند المطالعة أو التّسخ.
 - 11/ مع ما تُوفِّرُهُ هذه الطّريقة من وقت، والذي يُعَدُّ عُمَلَةً عالية القيمة في نظر الباحث.
- ومن أجود ما قرأته في بيان مزاياها مثال واقعيّ حكاه عليّ بن نايف الشّحّود فقال: "وقد جمعتُ مكتبة ضخمة خلال ثلاثين عاما، كلّفتني الكثير الكثير!.."
- وبرنامج الشّاملة؛ فيه أضعاف هذه الكتب بعشرات المرات، ولا يكلف طالب العلم المال الكثير، بل هو برنامج مجانيّ، يوزّع في كلِّ مكان، كما يمكن الآن تحميله من النت، أو استعماله دون تحميل إذا توفّرت النت.
- وقد وقرتُ عليّ هذه الموسوعات ولا سيّما الشّاملة ثلاثة أرباع عمري، وكتبْتُ أضعافَ ما كتبْتُ على الورق بمئات المرات خلال بضع سنوات فقط.
- ولا شكّ أنّ هذه الوسيلة الخطيرة عوّضتنا عن الحفظ الذي كان يقوم به علماءنا السّابقون، وذلك لكثرة المشاغل التي تشغل طالب العلم اليوم، مع كثرة الهموم التي تضغط عليه ليل نهار¹.

¹ . يُنظر: 'أصول التّخريج ودراسة الأسانيد الميسرة' للدكتور عماد جمعة (ص:30). و'الواضح في فنّ التّخريج ودراسة الأسانيد' مجموعة من المؤلّفين (ص:219). و'التّخريج ودراسة الأسانيد' للدكتور حاتم بن عارف الشّريف العوني (ص:49). و'التّقنيَّة الحديثة في خدمة السّنة والسّيرة النَّبَوِيَّة' للدكتور إبراهيم بن حماد الرّيس. موقع الألوكة. و'دور البرامج الإلكترونيَّة والتقنيّات الحاسوبيَّة في خدمة علم الحديث النَّبَوِيّ الشّريف' للدكتورة حكيمة حفيظي (ص:153) فما بعدها). مقال محكّم.

ثانياً: عيوبها²:

"يُنصح من يستخدم الحاسب الآلي أن يستغلّ المزايا التي فيه استغلالاً جيّداً، وأن يتجنّب العيوب التي هي في الحقيقة عيوب في المستخدم لا في الكمبيوتر.

الآن الكمبيوتر أصبح واقعاً ولا بدّ من الاستفادة منه، وليس هناك داعٍ لمعادته"³.

أفكارٌ هذه الفقرة ستكون منطلقنا في تحليل ما قيل إنّه عيوب، ومناقشتها والإجابة عن أكثرها:

1/ قيل: الإعلام الآلي آفة الكتب، وهو السبب الأول في كساد سوقها، ممّا قد يبعد الباحث عن محاوره المصادر والتعرّف إلى مناهج أصحابها فيها.

قال الدكتور حاتم عوني في هذا السياق: "إبعاد القارئ عن التعرّف على المصادر ومناهجها، حتّى إنّ البعض تصوّر أنّه يمكن أن يستغني بهذه البرامج عن الكتب، وهذا غير صحيح، فالكمبيوتر مستحيل أن يحلّ محلّ الكتاب، فالكتاب هو الوسيلة الصّحيحة للتعلّم"⁴.

ملحوظة: من أهداف دراستنا هذه إسقاط هذا الزعم الموروث، النَّاسي أنّ لكلّ زمان خصائصه وأدواته، فلا يمكن أن نلزم أبناء الأجيال الآتية بالكتاب الورقيّ ما دام الكتاب الإلكترونيّ يوفرّ المعلومة دون نقصان أو تحريف.

2/ المعلومات في الحاسوب غير آمنة، بحيث قد يتعرّض لعطب أو فيروس فتذهب جميع المعلومات.

وهذا لا علاقة له بالتخريج أيضاً، وهو مشترك مع الكتب الورقية في كونها معرضة للتلف والنهب والضياع وما إلى ذلك من الآفات، هذا مع وجود وسائل حماية وحفظ متطورة ومتعدّدة.

3/ تجمّع هذه التطبيقات والبرامج الغثّ والسّمين وهي أليق بوصف بعض العلماء لبعض المجرّحين بأنّه: (حاطب ليل).

وهذا الإشكال أو العيب ملغى إذا أشرف على التطبيقات علماء متخصصّون، وأحسن المستعمل الاختيار، ثمّ هو إشكال قديم لا يصلح مع الإصدارات الحديثة.

4/ قلة الضبط والإتقان في النقل، فكم من حديث سقطت منه عبارة، وبدلت كلمة، وأسقط من سنده رجل أو أكثر، وكم من حكمٍ في حديث تحرف خاصّة ما كان رمزاً.

¹ . 'المفصل في أصول التخريج ودراسة الأسانيد' لعليّ بن نايف الشّخود (ص:437). د.ط.دت.

² . يُنظر: 'أصول التخريج ودراسة الأسانيد الميسرة' للدكتور عماد جمعة (ص:30). 'الواضح في فنّ التخريج ودراسة الأسانيد' مجموعة من المؤلّفين (ص:219). 'والتخريج ودراسة الأسانيد' للدكتور حاتم بن عارف الشّريف العوني (ص:49). 'والميسر في علم تخريج الحديث النبويّ' عبد القادر المحمديّ (ص:60). مقال محكم. 'والتقنيّة الحديثة في خدمة السنّة والسيرة النبويّة' للدكتور إبراهيم بن حماد الرّيس. موقع الألوكة.

³ . 'المفصل في أصول التخريج ودراسة الأسانيد' لعليّ بن نايف الشّخود (ص:437).

⁴ . 'التخريج ودراسة الأسانيد' للدكتور حاتم بن عارف الشّريف العوني (ص:49).

ملحوظة: وهنا أوّد تنبيه الطالب إلى الابتعاد قدر المستطاع عن الأحكام التّأبديّة، والأحكام الجزائيّة، فمن المصطلحات التي لا تتناسب مع البحث العلميّ مصطلح (المستحيل)، إذ لا سبيل إلى معرفة ما يحثّه الغيب، وقد أثبت التاريخ أنّ وسائل الحياة تتبدّل، فلا ندري إلى أيّ اتجاه ستأخذنا، وكم من وسيلة ظنّ الناس أنّهم غير قادرين على مفارقتها، فدار الزمن وفارقوها، وما وسائل النقل والمواصلات ووسائل التواصل التّقليديّ عنّا ببعيد.

وهذا صحيح، وهو أوجه نقد، ويمكن أن نبني عليه النتيجة القائلة بأن التقنيّة لا تتعدّى كونها فهرسا، لكنّه عيبٌ يمكن الاحتراز منه، وهو مشابه للطّبعات الورقيّة التي تصدرها المطابع التجاريّة التي تجعل ههنا الأوّل المال، وكم من ناسخ جاهل قديما اعتدى على النّصّ الأصليّ.

والاحتراز منه يكون باختيار الإصدارات العلميّة لا التجاريّة كما قدّمنا، وهي التي يشرف عليها علماء متخصصون، ويتركها أمثالهم. 5/ ومن العيوب أيضا ما ذكره الدكتور حاتم العوي، وأظنه لم يوفّق فيه، وهو: "الاعتزاز بكثرة المصادر، فالبعض قد يظنّ أنّ التّخريج بكثرة المصادر، فإذا وقف على الحديث في مصادر متعدّدة ظنّ أنّه أعلم من الذي لم يقف على مصادره، وهذا ما يحصل من خلال الكمبيوتر الذي يوفّقك على مصادر عديدة، وقد يغترّ بذلك الباحث، ولاشكّ أنّ هذا غير صحيح"¹.

وهذا عيبٌ في المستعمل لا في التقنيّة، وهو عامّ يحصل مع من تتوفّر لديه مكتبة ثريّة لا تتوفّر لغيره، فكان من الأفضل أن يجعله كتنبيهٍ إلى أهميّة التّحصيل العلميّ وفهم مصطلحات العلماء ومناهجهم وعدم التّسرّع في إصدار الأحكام، لا أن يُجعل عيبا لخاصيّة الحاسب الآليّ أو التقنيّة.

7/ "ثم ههنا أمرٌ آخر، وهو أنّ برامج الحاسب الآليّ قد تكون خالية من حواشي الكتب، وفي هذه الحواشي فوائد يحتاجها الباحث، ومنها ما يتعلق بجمع الطّرق، فيكون المحقّق قد قام بتخريج الحديث، وذكر شيئا من مصادر طرقه، وقد يُنبّه المحقّق على أشياء في نُسَخ الكتاب المخطوطة هي من غرض الباحث"².

وهذا كان يمكن أن يكون التماسا لا عيبا، بحيث يطلب من صانعي البرامج احترام الطّبعات إذا حُوّلت إلى كُتب إلكترونيّة، ومن تمام احترامها احترام بياناتها وحواشيتها، لأنّ بعض الحواشي تحوي نواذر ودررا.

■ نتائج الانتقاد: وما يزيد من خطر تلك الانتقادات أنّها أدّت إلى نتائج مجحفة أهمّها:

قيل: "لا بدّ من النّاحية العلميّة من الرّجوع إلى مصدر المعلومة في الكتب المطبوعة للتّأكد من صحّة النّصّ، وبخاصّة سند الحديث ومتمنه، حيث تُعدّ هذه الموسوعات بالمعيار العلميّ: مصادر غير أصلية"³.
حوت هذه الفقرة نتيجتين:

النتيجة الأولى: الحكم بأنّ كتب التّطبيقات ليست مصادر أصليّة، والمشكل أنّ جمعا من أهل العلم جرى على هذا الحكم، قال الدكتور عماد جمعة في سياق تعداد جوانب النّقص: "تعتبر هذه الموسوعات مصادر غير أصليّة في الحديث".
وكان التّعليل أغرب من الحكم لما قال: "لأنّ فيها بعض الأخطاء، لذا لا بدّ من النّاحية العلميّة من الرّجوع لمصدر المعلومة من الكتب"⁴، وهذه النتيجة ملغاة، لأنّنا إذا رجعنا إلى شرطيّ المصادر الأصليّة وتحقّقنا وجدنا أنّ كتب التّطبيقات قد وقرّهما، فكيف يُقال عنها أنّها ليست مصادر أصليّة وهي كتب حديثيّة روت الأحاديث بأسانيد لأصحابها إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم؟.

¹ . التّخريج ودراسة الأسانيد' للدكتور حاتم بن عارف الشّريف العوي (ص:49).

² . 'مقارنة المرويّات' لإبراهيم بن عبد الله الأحّم (25/1).

³ . 'الواضح في فنّ التّخريج ودراسة الأسانيد' مجموعة من المؤلّفين (ص:172).

⁴ . 'أصول التّخريج ودراسة الأسانيد الميسّرة' للدكتور عماد جمعة (ص:30).

وهل يُحكّم على الكتاب أنّه أصليّ أو غير أصليّ من كثرة الأخطاء أم من وجود الإسناد؟ وهل وُجدَ مَنْ حَكَمَ على الطّبّعات الورقيّة الرديئة لصحيح البخاريّ مثلاً بأنّها مصادر غير أصليّة؟.

مع ضرورة التنبّه إلى أنّ الخطأ معقود في ناصية البشر، فالنّسّاخ يخطّون، وعلماء الحديث يخطّون¹، فليس استثناءً أن يخطأ صانعو البرمجيّات أو المشرفون عليها.

ومن جهة أخرى علينا الاهتمام بضبط المصطلحات، فلو قالوا مثلاً: إنّ على الطّالب أن لا يعتمد عليها لكثرة الأخطاء لكان مقبولاً، مع ضرورة التنبّه إلى كون التّقدّ مربوطاً بالأخطاء، فإذا زالت زال الحكم.

النتيجة الثانية: لا بدّ من الرجوع إلى الطّبّعات الورقيّة لمقارنتها: وهذه النتيجة تابعة لسابقتها، فإذا حكمنا بعدم أصليّتها حكمنا استلزماً بحتميّة مراجعتها.

أما وقد عرفنا أنّها أصليّة، فلا داعي للمراجعة ولا المقارنة إلّا من باب زيادة الحرص وكمال الإتقان.

ولا أظنّ أنّ هذا الإشكال قائم اليوم، ولكنّ الذين كتبوا جروا على عادة التّقليد، إذ رأوا أنّ أوّل من أدخل دراسة طريقة الحاسوب في طرق التّخريج قد تبه إلى خطورة التّخريج منها فقالوا مثل قوله، ولم ينتبهوا أنّ بعض الإصدارات قد تحسّنت جدّاً، حتّى وصلت إلى درجة الكتاب الورقيّ أو فاقتته.

وكخلاصة لما تقدّم أقول: أخذ هذا العنصر حيّزاً مهمّاً من الدّراسة لسبب هو: أنّ كلّ من اعتبر التّخريج عن طريق التّقنيّة مجرد وسيلة للوصول إلى الحديث، بنى فكرته على تعديد بعض العيوب، ثمّ خرج بنتيجته التي ربّما كانت صالحة لعصره المخضرم الذي عرف الكتاب الورقيّ والإلكترونيّ معا.

ولكن مع بقاء المشكّكين فما أجود أن يقال: "هناك فريق من أهل العلم - والذي لم يستخدم هذه الوسيلة العلميّة الخطيرة - يشكّك بالحاسوب وبهذه البرامج، بل يطلب من طلابه عدم الرجوع إليه، وإذا كلفهم بحلقة بحث أو رسالة علمية، طلب منهم عدم الرجوع إليه، بل لا بدّ من الرجوع للكتب المطبوعة ورقياً، وذلك لظنه أنّ الكتب المدخلة على الحاسوب غير مدقّقة! أو ناقصة! أو فيها زيادة! ونحو ذلك من أوهام سوّ لها بعض الجهال من النّاس الذي يعادي كلّ جديد، بصرف النّظر عن كونه نافعاً أم ضاراً.

ولكن يقال لهؤلاء: الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحقّ بها، فهذه الأوّاهم التي رسخت في أذهانكم ربما كان لها شيء من الصّحة في البداية، ولكنّها اليوم لا رصيد لها على أرض الواقع بتاتا"².

4.3 ترتيب خطوات البحث في التّطبيقات:

لكلّ تطبيق خصائصه، وما نذكره هنا هو جملة خطوات عمليّة تشترك فيها كلّ التّطبيقات، وهي خطوات منهجيّة توضيحيّة وليست إلزاميّة:

1/ اختيار التّطبيق المناسب الذي ركّاه أهل الاختصاص وتحميله.

¹ . يُنظر مقدّمة كتاب: 'إصلاح غلط المحدثين' لأبي سليمان الخطّابيّ (ت:388هـ) (ص:19). وكذلك 'حصول التّفريج بأصول التّخريج [أو: كيف تصير محدّثاً]' لأبي الفيض الغماريّ (ص:59 فما بعدها). فقد ذكر أمثلة عن خطأ المحدثين والنّسّاخ على السّواء.

² . 'المفصل في أصول التّخريج ودراسة الأسانيد' لعليّ بن نايف الشّحود (ص:437).

2/ قراءة النثرية الموضوعية خصيصاً لوصفه.

3/ تحديد طرق البحث فيه، وعادة ما نركز على طريقة إدخال أي كلمة من الحديث، لأنها أسهل طريقة ولا يوجد تطبيق يخلو منها.

4/ كما يحسن أن تكون كلمة لا يكثر دورانها، أو وضعها في سياقها - أي: قرنها بما بعدها - حتى لا تكثر نتائج البحث. مع ضرورة التنبه إلى أن حذف الهمزة أو اعتبارها/وكذا ورود اللفظ بصيغة الجمع أو المفرد يمنع ظهور النتائج¹.

5/ كتابة الكلمة في خانة البحث ثم الضغط على زر البحث.

6/ بعد خروج النتائج مختصرة، لا بد من تحديد النتائج التي تخدم البحث، والدخول إليها والتأكد من وجود مطابقة الحديث المبحوث عنه.

7/ الضغط على الكتاب الحديثي المختار كصحيح البخاري مثلاً، فيفتح الكتاب في موضعه للاطلاع على عنوان الكتاب والباب ورقم الحديث والجزء والصفحة.

كما يمكن الاطلاع على الطبعة، وتاريخ الإصدار، واسم المشرف أو اللجنة المشرفة، لكتابة البيانات.

8/ الضغط على كتب شروح الحديث أو كتب التخرّيج التطبيقية أو العلل.. للتعرف على حكم الحديث.

9/ تحديد الحكم المرجح.

10/ صياغة تخرّيج الحديث مقروناً بدرجته في عبارات مختصرة وكافية ومعبرة.

4.المطلب الثالث: (تطبيق جامع الكتب التسعة) خصائص واستدراكات.

1.4 وصف تطبيق (جامع الكتب التسعة) وذكر خصائصه²:

أتى تطبيق (جامع الكتب التسعة) للهواتف والأجهزة الذكية (آيفون، آيباد، أندرويد)، مواكباً لروح العصر التكنولوجي، برعاية كريمة من (وقف والده بدر بن صالح الراجحي وأولادها)، تصميم وبرمجة: (شركة الدار العربية لتقنية المعلومات) الشركة الرائدة في صناعة البرامج والتطبيقات الإسلامية، باستخدام أحدث التقنيات البرمجية الحديثة.

تطبيق شامل: يشتمل تطبيق (جامع الكتب التسعة) على كتب الحديث التسعة المشهورة لدى العلماء والباحثين، والتي هي أهم دواوين السنة وأوفاهها وأشملها للأحاديث النبوية، وعليها مدار الأحكام واعتماد علماء الإسلام.

الجودة شكلاً ومضموناً: واجهة جميلة وسهلة الاستخدام ذات تصميم متميز وجذاب، وإخراج النصوص في صورة محققة مضبوطة ضابطاً كاملاً، وذلك من خلال العرض في ثوب إلكتروني حديث، يجمع بين أصالة التحقيق وقوة التقنية.

السنة معك أينما كنت: مع تطبيق جامع الكتب التسعة، والمعد خصيصاً للأجهزة الذكية، أصبح بإمكانك التنقل بمكتبة حديثية شاملة للاستفادة منها أينما كنت، سهلة الاستخدام، فلن تكون مقيداً بمكان، أو مرتبطاً بالحاسب المنزلي.

¹ . مع تطور الذكاء الاصطناعي يمكن إضافة زر الاحتمالات، وظيفته: إذا لم توجد الكلمة أو العبارة بلفظها، يقترح احتمالات مقارنة.

² . وصف التطبيق وخصائصه مأخوذ [مع بعض التغيير والتقدم والتأخير] من صفحة التطبيق على النت، وهذا الرابط:

التقسيم الموضوعي: يتميز البرنامج بإمكانية عرض السنّة النبويّة وفقاً لفهرس موضوعيّ شامل، مع إمكانية تحديد موضوعات جزئية، وعرض الحديث أو الأحاديث المرتبطة الموضوع في أسرع وقت.

خاصية البحث¹: بإمكانك البحث عن أيّ كلمة أو جملة في نص الحديث في أيّ كتاب من الكتب التسعة، كما يتيح إمكانية الذهاب إلى أيّ حديث من خلال الرقم الخاصّ به.

الشروح: يوفر خدمة الاطلاع على شرح الحديث من خلال بعض المراجع، مع ربط كلّ حديث بالشرح الخاصّ به.

التخريج: تمّ إضافة خدمة التخريج، وبمجرد الضّغط على الأيقونة يتمّ تخريج الحديث آلياً، فتظهر النتائج مباشرة دون أيّ عناء أو مجهود.

الغريب: يتيح تطبيق جامع الكتب التسعة خدمة شرح غريب الحديث، من خلال وضع معاني مختصرة للكلمات الغريبة، مع ربط كلّ كلمة من الغريب بشرحها من خلال الضّغط عليها.

التعريف بالراوي: وذلك من خلال وضع بطاقة تعريف خاصة بكلّ راوٍ تحتوي على البيانات الخاصة به، مع ربط كلّ راوٍ بترجمته من خلال الضّغط عليه.

النسخ والمشاركة: خاصية مشاركة الحديث مع الآخرين، من خلال مواقع التواصل المختلفة، إضافة إلى إمكانية نسخ الحديث.

ترقيم الأحاديث: مع إمكانية الوصول إلى أيّ حديث من خلال الرقم الخاصّ به.

إضافة الملاحظات: باستطاعة المستخدم إضافة أيّ ملاحظة أو خاطرة أثناء القراءة أو المداولة، ويتمّ حفظها والرجوع إليها في أيّ وقت

إعدادات إضافية: إتاحة إعدادات إضافية تتيح للمستخدم التّحكم في لون الخطّ أو حجمه أو نوعه، بما يساعد على إعطاء الرّاحة البصريّة لقراءة سنّة النبيّ محمّد صلّى الله عليه وسلّم.

¹ . أمّا الاستعمال فإنّه سهل يُدرك من خلال محاورة التطبيق، لأنّه لا يوجد اليوم طالب علم إلّا وبحسن التّعامل مع التطبيقات ويفهم فلسفتها جيّداً، لذا أوصي طلبة العلم أن يحتملوا التطبيقات المتاحة، ويختاروا الأجود والأريح، ويحاولوا فهمه جيّداً، لأنّ لكلّ تطبيق خصائصه ومميّزاته.

2.4 صور مختارة توضح شكله وطرق استعماله:

3.4 نقد جامع الكتب التسعة¹:

لا يخلو عملٌ من نقص، وهذا التطبيق رغم جودته إلا أن صيانته وترقيته تبقى مطلوبة دورياً. وباعتبار أيّ واحد ممن يُكثر استعماله وينصح طلبته بالاعتماد عليه كثيراً عند البحث عن حديثٍ ما أو تخريجه، فإنّي قد استشعرت أهميته، وعرفتُ بعض التّقائص فيه أودّ مشاركتها هنا، وهي على التّفصيل:

أ/ الإشراف العلميّ: ذكّر التطبيق القائمين على الإشراف الفتيّ ونسب العمل إلى مؤسّسة معروفة عند أهل الاختصاص، ولكنّه أهملَ ذكّر المشرفين على الجانب العلميّ سواء مؤسّسات أو أفراداً، وهذا أراه ضرورياً لأيّ تطبيق من أجل اعتماده في التوثيق.

ب/ شرح الأحاديث: الكثير من الأحاديث لم يورد شرحها.

ج/ ترجمة الرواة: رغم أنّ الأسانيد مشكّلة بشكل صحيح، إلا أنّ التّراجم يتخلّلها ذكر أسماءٍ كثيرٍ من رواة وعلماء الحديث غير مشكّلة، فالمطلوب تشكيل أسماء الرواة سواء في السند أو الترجمة لأنهم مظنة الالتباس.

¹ . كنتُ أودّ ذكر أمثلة مصوّرة من التطبيق، لكنّي أضربتُ عنها لأنّ ذلك سيجعل المقال في حجم كتاب.

كما أنّ التّرجمة ناقصة من جوانب منها أنّ القائمين على التّطبيق لم يذكروا في ترجمة الرواة عمّن رووا ولا من روى عنهم. وأقوال علماء الجرح والتّعديل يتمّ سردها سرداً متداخلاً غير مرتّب، وهذا خلل منهجيّ يؤدّي إلى نقص أو اضطراب في التّصوّر والاستنتاج.

د/ التّوثيق: لم يذكر بيانات الكتب التي اعتمد عليها ولا طبعاتها.

هـ/ الحكم على الأحاديث: عند بيان درجة الحديث لا نجد صاحب الحكم من العلماء ولا المرجع.

و/ بعض المقدمات المهمّة: يحسُن أن يذكر مقدمة في التّعريف ببعض العلوم والمصطلحات، ك: التّعريف بأصحاب الكتب التسعة، وبعض علوم الحديث الضّرويّة، والضّرويّ من قواعد علم التّخريج.. وما إليه.

ز/ الرّبط المباشر مع المراجع المساعدة: عند البحث عن الرّاي أو الغريب نجد أنّ صنّاع البرنامج قد اختاروا أن يصنعوا فقرة مختصرة مستخلصة من عبارات مأخوذة من جملة مراجع، والمطلوب أن يربطنا البرنامج بالمراجع مباشرة من خلال الضّغط على المصطلح الغريب أو الرّاي، ومن ثمّ يتسّى لنا التّحقّق والاستنتاج.

ح/ الطّبعات: مع اقتراح أن يعتمد الطّبعات الموثوقة، ويجعلها موافقة للمطبوع، ويذكر بياناتها كاملة.

4.4 دعوة إلى اعتماد التّطبيق:

يُعتبر هذا العنصر كخلاصة لكلّ ما تقدم، فحيث اتّضح أنّ المشرفين على بعض التّطبيقات قد استشعروا المسؤولية، وبدأوا العمل باحترافية الاعتماد على أهل التّخصّص الفنيّ والعلميّ، فإني أقترح أنّ التّخريج من أيّ تطبيق ظفر بتزكية علماء الحديث وحاز الجودة العلميّة في إخراج النّصّ ومقابلته، لا بدّ أن يُقرن بشروط هي:

■ شروط التّخريج عن طريق البرامج والتّطبيقات¹: وحتى لا يترك الأمر مشاعاً من غير ضوابط، كان لا بدّ من

تقييده بشروط مستفادة من الانتقادات السّابقة:

أ/ أن يكون البرنامج من إصدار جهة موثوقة [كهيئة علميّة أو سلطويّة يُعرف انتماءها ومعتزف بها].

ب/ أن يكون للبرنامج إصدارات دوريّة كلّ 6 أشهر أو كلّ عام على الأكثر، حسب ما يحدده أهل الاختصاص، يمكن من خلالها تحديثه والاستفادة من التّصويبات.

ج/ أن يُشرف على كلّ إصدار جملةً من أهل الحديث تُذكر أسماءهم ودرجاتهم العلميّة لزاماً، ويُستحبّ أن يكونوا من دولٍ مختلفة وجامعات مختلفة².

د/ أن يعتمد الباحث آخر الإصدارات.

¹ . يُنظر: 'ضوابط استخدام التّقنيّات الحديثة في تخريج الأحاديث النّبويّة' للدكتور سعد فحجان الدّوسريّ (ص:412). مقال محكم.

و'كتاب الموسوعة الحديثيّة بين الواقع والمأمول' لزهير النّاصر (ص:108).

² . ملحوظة: وهذا الشّروط ينوب عن الشرط التقليديّ الذي يوصي الباحث أن يَعرَضَ مادّة البرنامج على الكتاب الورقيّ أو المصوّر، لأنّ العرض قد تمّ تحت رعاية أيّادٍ متخصّصة وحفيظة وأمينّة.

هـ/ أن يعتمد في توثيقه ذكر البيانات كاملة من:

- بيان موضع الحديث في كتب السنّة كالمعروف في النّقل عن الكتب الورقيّة، فإذا كان الكتاب مرتّباً على الموضوعات: نذكر الكتاب والباب ورقم الحديث، وإذا كان مسنّداً مرتّباً على أسماء الصّحابة: نذكر مسند الصّحابيّ راوي الحديث ورقم الحديث.
- ونذكر درجة الحديث مع الدّراسة، وأمّا إذا كان الحكم عليه نقلاً عن أحد علماء الحديث، فلا بدّ من التّوثيق.
- وهذا القدر مشترك مع الكتب الورقية، أمّا الفارق فيكمن في كوننا إذا اعتمدنا على الكتاب الورقيّ فإننا نذكر البيانات التّالية: المحقّق والدار وسنة الطّبع ورقم الطّبعة، أمّا إذا اعتمدنا على التّطبيق فنذكر: رقم الإصدار وتاريخه، كما نذكر المشرف عليه فرداً أو لجنةً بأسمائهم.

5. خاتمة:

أوصلتنا هذه الجولة بين مزايا التّقنيّة وعيوبها إلى نتائج مهمّة هي:

- 1/ يُقصد بالتّقنيّة الحديثة: كلّ وسيلة تختزّن في هذا العصر أو بعده، لها خاصيّة تخزين ومعالجة المعلومات، كالحاسب الآليّ أو الهاتف الدّكيّ أو اللّوح الإلكترونيّ أو غيرها.
- 2/ ويقصد بالتّخريج عن طريق التّقنيّة: استعمال أحد البرامج أو التّطبيقات التي توفّرها التّقنيّة العصريّة للدّلالة على الحديث في كتبه الأصليّة وتحديد طرقه وبيان درجته.
- 3/ نبّه العلماء إلى أهميّة الاستعانة بالتّقنيّة للوصول إلى الحديث، ولكنهم اعتبروها فهارس لا مصادر، لذا أوجبوا على مستعملها أن يقارن نتائجها بالكتب الورقيّة.
- وما حاولنا إثباته هو: أن يبقى التّحقيق بعرض النّصّ على الكتب الورقيّة زيادة في الكمال، كما يمكن أن يُكتفى بالطّبعات الإلكترونيّة المحقّقة بعناية ما دام يشرف عليها أهل اختصاص أثبتوا أمانتهم وإتقان عملهم.
- 4/ التّوثيق عن طريق التّقنيّة ضرورة قصوى لأنّها مواكبة للعصر، لذا وجب إعادة النّظر فيها من خلال الجامع والمؤتمرات.
- 5/ تحتوي التّقنيّة في العادة على مصادر الحديث الأصليّة: إمّا كتاباً واحداً كصحيح البخاريّ مثلاً، أو مجموعة كالكتب التسعة، أو عدداً غير محدود كموسوعة الحديث.
- وقد تحتوي أيضاً على كتب الحديث الفرعيّة: كالشّروح والغريب وتراجم الصّحابة والرّواة..
- 6/ المصادر الأصليّة هي كل كتاب حاز شرطين: (1) جمع الأحاديث والآثار (2) بأسانيد لصاحب الكتاب عن شيخه إلى النّبّيّ صلّى الله عليه وسلّم.
- سواء كان الكتاب ورقياً أو مصوّراً (pdf) أو إلكترونيّاً.
- 8/ استحضار أنّ بعض الإصدارات الحديثة تجاوزت الكثير من عيوب التّقنيّة التي كانت سبباً في استصدار الحكم بأنّها مجرد فهرس.
- 9/ يعتبر تطبيق (جامع الكتب التسعة) من أجود التّطبيقات شكلاً ومضموناً، ويمتلك خصائص تجعله سهل التّحميل سهل الاستعمال، لذا افتتحت الدّراسة أن يُعتمد هو أو أيّ تطبيق أشرف عليه متخصصون معروفون حاز صفات الجودة.

التوصيات: إنّ فكرة اعتماد بعض التطبيقات المتقنة قد يجعل البعض يتحرّج لاعتبارات وأسباب يرى قوّتها، ورأيه مقبول إذا كان مبنياً على تبريرات عقلية وواقعية، لذا أقترح أن يُعقد مؤتمر يُستكتب له أهل التخصص المعروفين بتمكنهم في علم الحديث والتّخريج والتّحقيق، لمناقشة هذه الفكرة.

وكذا دعوة الباحثين من أهل التخصصين في علوم الحديث والحاسوب إلى القيام على التّصحيح والتّحقيق مع كلّ إصدار جديد، ليستفيد منها الطلبة الاستفادة المرجوة.

كما أقترح على المؤلفين في (التّخريج) والمدرّسين له أن يُولوه الأهمية القصوى فيبدوون به تأليفاً وتديراً ثمّ يُنثون بالطرق التقليديّة، ويخصّونه بحجم ساعيّ أطول منها، وأن يركّزوا على الجانب العمليّ منه، وذلك بإلزام الطلبة بتحميل التطبيق المدروس لتجريبه ومحاورته.

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

6. قائمة المراجع:

• المؤلفات:

* القرآن الكريم.

- 1/ 'إصلاح غلط المحدثين' لأبي سليمان الخطّابيّ (ت:388هـ). تح: حاتم الضّامن. مؤسّسة الرسالة بيروت [1405/هـ/1985م].
- 2/ 'أصول التّخريج ودراسة الأسانيد الميسّرة' للدكتور عماد جمعة. ط:1 دار التفائس الأردن [1425/هـ/2004م].
- 3/ 'أصول تخريج الحديث ودراسة الأسانيد' للدكتور محمود الطّحّان. ط:02، دار القرآن الكريم بيروت [1979م].
- 4/ 'تحقيق النّصوص ونشرها' للأستاذ عبد السلام هارون. ط:7 مكتبة الخانجي القاهرة [1418/هـ/1998م].
- 5/ 'التّخريج ودراسة الأسانيد' للدكتور حاتم بن عارف الشّريف العوي. مطبوعة متوقّرة على النّت. دط. دت.
- 6/ 'تدريب الرّاوي في شرح تقريب التّووي' لجلال الدّين السيوطيّ (911هـ). تح: محمّد الشّبراويّ. دار الحديث القاهرة. [1423/هـ/2002م].
- 7/ 'حصول التّفريغ بأصول التّخريج [أو: كيف تصير محدّثاً]' لأبي الفيض الغماريّ. ط:1 مكتبة طبرية الرياض [1414/هـ/1999م].
- 8/ 'شرح علل التّرمذيّ' لابن رجب الحنبليّ (ت:795). ط:1 مكتبة المنار الأردن [1407/هـ/1987م].
- 9/ 'طرق تخريج الحديث' للدكتور سعد الحميد. ط:01، دار علوم السنّة للنّشر الرياض [1420/هـ/2000م].
- 10/ 'فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقيّ' لشمس الدّين السّخاويّ (ت:902هـ). تح: علي حسن عليّ. ط:1 مكتبة السنّة مصر [1424/هـ/2003م].
- 11/ 'فيض القدير بشرح الجامع الصّغير' لعبد الرّؤوف المناويّ (1031هـ). ط:01، المكتبة التّجارية الكبرى مصر [1356هـ].
- 12/ 'كتاب الموسوعة الحديثية بين الواقع والمأمول' لزهير التّاصر. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة. دط. دت.
- 13/ 'كيف ندرس علم تخريج الحديث' للدكتور حمزة المياريّ وسلطان العكايلة. ط:1 دار الرّازي الأردن [1419/هـ/1998م].
- 14/ 'لسان العرب' لان منظور الإفريقيّ (711هـ). ط:03، دار صادر بيروت [1414هـ].
- 15/ 'معجم اللّغة العربيّة المعاصرة' للدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر. ط:1 عالم الكتاب بيروت [1429/هـ/2008م].

- 16/ 'المفصل في أصول التّخريج ودراسة الأسانيد' لعليّ بن نايف الشّحود [ص:437]. د.ط.د.ت.
 17/ 'مقارنة المرويّات' لإبراهيم بن عبد الله اللّاحم. ط:1 دار الزّيان بيروت [1433هـ/2012م].
 18/ 'المواضع في الاصطلاح' للدكتور بكر أبو زيد. ط:1 [1405هـ]. مديرية المطبوعات بوزارة الإعلام السعودية.
 19/ 'الواضح في فنّ التّخريج ودراسة الأسانيد' مجموعة من المؤلّفين. دار الحامد الأردن [2004م].

● المقالات:

- 1/ 'التّقنيّة الحديثة ودورها في خدمة السنّة النّبويّة' مدحت عبد البارّي محمّد وهشام البطايجي السّبع. مقال محكّم منشور في (المجلّة الدّوليّة للتّطبيقات الإسلاميّة في علم الحاسب والتّقنيّة). مجلّد:2. عدد:3. أيلول: 2014م.
 2/ 'دور البرامج الإلكترونيّة والتّقنيّات الحاسوبية في خدمة علم الحديث النّبويّ الشّريف' للدكتورة حكيمه حفيظي. مقال محكّم (مجلة وحدة الأئمة). العدد:10. شوال 1439هـ/يونيو 2018م.
 3/ 'ضوابط استخدام التّقنيّات الحديثة في تخريج الأحاديث النّبويّة' للدكتور سعد فحجان الدّوسري. مقال محكّم (مجلة الدّراسات العربيّة). كليّة دار العلوم جامعة أمّنيّا. بحث مدعوم من إدارة الأبحاث بجامعة الكويت رقم: 14/02.
 4/ 'الميسر في علم تخريج الحديث النّبويّ' عبد القادر المحمديّ. مقال محكّم. مجلة الأنبار [2010م].

● مواقع الانترنت:

- 1/ إبراهيم بن حماد الرّيس 'التّقنيّة الحديثة في خدمة السنّة والسيرة النّبويّة'. موقع الألوكة. تاريخ الإضافة 2/1/2008 ميلادي -
<https://www.alukah.net/sharia/0/19212/> الرّابط: 1428/12/24 هجري.
 2/ موقع (جامع الكتب التّسعة)، وهذا الرّابط: <https://arabia-it.com/rajhi/SunnaAr.html>.